مدى التزام المستشرقين بالمنهج العلمي

في دراسة القضايا الإسلامية

الدكتور مسعود فلوسي
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
جامعة الحاج لخضر - باتنة

هذه المداخلة تمثل مشروع بحث في هذا الموضوع الكبير والخطير في آن واحد، والمتعلق بمدى التزام المستشرقين بالمنهج العلمي في كتاباتهم عن الإسلام وتاريخه وحضارته، ذلك أني أدرك أن تناول هذا الموضوع يحتاج إلى تفرغ كامل ووقت متاح ومصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة، وهو ما لا أدعي توفره الآن.

لذلك فإن ما أقدمه اليوم في هذه المداخلة ليس سوى إشارات على طريق البحث الجاد والمعمق في موضوع "المستشرقون .. والمنهج العلمي".

وإني لأزعم أن هذا الموضوع على غاية من الخطورة، لأنه بإدراكه والإحاطة به، تتجلى أمامنا معطيات المستشرقين كلها، ويمكننا أن نزنها حق وزنها، لأن المنهج هو الأساس في أي موضوع، وهذا الموضوع إنما يستمد أهميته ووجاهته وصدقه من خلال المنهج الذي استند إليه.

1 - ما الذي نريده بالمنهج العلمي؟:

ونعني بالمنهج العلمي في عنوان مداخلتنا هذه؛ الأسس والمرتكزات التي يستند إليها وينطلق منها الباحث في دراسته لأي فكرة من الأفكار أو موضوع من الموضوعات، تلك الأسس والمرتكزات التي تتسم بالموضوعية والتجرد، والحياد والاستقصاء.

والمنهج العلمي بهذا هو منهج إنساني عالمي لا يتأثر بمذهب فكري، ولا يخضع لعصبية دينية أو مذهبية، كما لا يمكن تطويعه لإخفاء حقيقة أوت شويه صورة.

وهو كذلك يتميز بالعموم والشمول، حيث يمكن استخدامه في أي مجال دراسي من مجالات المعرفة الإنسانية.

وهذا المنهج مهما كان الميدان الذي نستخدمه فيه، تبقى قواعده ثابتة مستقرة، وإن كانت وسائله متنوعة ومتغيرة تبعا للميدان الذي تستخدم فيه، فالمنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج الإحصائي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن، وغيرها، هي كلها مناهج

تختلف فيا بينها من جهة الوسائل المستخدمة في كل منها، ولكنها في حقيقتها مظاهر متنوعة لمنهج واحد هو"المنهج العلمي". هذا المنهج العلمي مما يلزم أي باحث أن يسير عليه في أي دراسة يجريها في أي ميدان من ميادين العلم والمعرفة، وكائنة ما كانت القضية التي يتناولها بالدراسة.

وهذا المنهج العلمي ، يقتضي - فيما يقتضيه - أن يتناول الباحث المسائل بغير خلفيات فكرية مسبقة، وأن يدرس كل مسألة حسب نوع الوسيلة المنهجية التي تصلح لها بخصوصها والتي تدرس بها المسائل التي تقاسمها نفس الميدان العلمي.. كما أن من أهم متطلبات المنهج العلمي؟ أن يتناول الدارس المسألة من موقع المستفهم الباحث عق نتيجة علمية نهائية في شأنها، سواء كانت هذه النتيجة موافقة لها في نفسه أو مخالفة له كل أو بعض المخالفة.

2 - دعاوى المستشرقين بالتزام المنهج العلمي:

إن هذا المنهج العلمي، كثيرا ما يدعي المستشرقون حرصهم على التطابق معه والسير عليه فيا يجرونه من دراسات تتعلق بالإسلام والعلوم الإسلامية.

لنقرأ مثلا ما كتبه المستشرق "رودي بارت" في مقدمته لأحد كتبه، يقول:

"... نحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها قط لكي نبرهن على ضَعَة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام، ومظاهره المختلفة، والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة. ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو وكأنه يثبت أمامه. ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها، المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن"[1].

وقد بلغ حرصهم على تأكيد هذا الالتزام بالمنهج العلمي - في كل مناسبة خاضوا فيها بأقلامهم وآرائهم - درجة أصبحت تثير التساؤل حول طبيعة هذه الدعوى والغرض منها ومدى مطابقتها لواقع أعمال المستشرقين وحقيقة دراساتهم التي يصدرونها والتي ينتهون فيها إلى نتائج هي ذاتها المنطلقات التي ينطلقون منها في تلك الدراسات.

3 – مدى صدق دعاوى المستشرقين بالتزام المنهج العلمي:

إن الباحث المتفحص، ليدرك بسهولة ويسر، أن هذا التأكيد المستمر على المنهج العلمي، ليس إلا طلاء خادعا يقدم به المستشرقون لأعمالهم ودراساتهم، حتى ينخدع بها المغفلون من أبناء المسلمين المنبهرين بدراسات هؤلاء المستشرقين.

ذلك أن المنهج العلمي ينهار في دراسات المستشرقين للوهلة الأولى، حيث أن هذه الدراسات لا تجرى لغرض البحث عن حقائق علمية معينة، أو بغرض الوقوف على حقيقة واقعة تاريخية ما، أو للإحاطة بفكرة من الأفكار مهما كانت، وإنما تجرى هذه الدراسات للأهداف معينة محددة سلفا، وفي مجالات معينة ومحددة سلفا كذلك.

فعلى صعيد الأهداف، لا يخفى ارتباط الاستشراق بالتبشير منذ نشأته الأولى، حيث "بدأ الاستشراق وجوده الرسمي في الغرب المسيحي بقرار المجلس الكنسي في فيينا سنة 1319 م، بتأسيس كراس جامعية لدراسة اللغات الشرقية، ولاسيما اللغة العربية والعبرية والسوريانية في الجامعات الأوربية الرئيسية، وبخاصة جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وسلامنكا. وقد صدر هذا القرار بناء على اقتراح قدمه المنصر ريموند بول (1235 - 1316) الذي كان يحث المسيحيين على تعلم اللغة العربية بوجه خاص كأفضل وسيلة لتحويل المسلمين إلى المسيحية، وقبول اقتراحه من المجلس الكنسي يدل على نمو الفكرة التنصيرية في الغرب المسيحي، وبخاصة بعد فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهم أهدافها وهو ردة المسلمين عن الإسلام أو إبادهم جميعا"[2].

فالهدف من الدراسات الاستشراقية – في عمومها – نشر وترويج تصورات معينة عن الإسلام وأهله، هي في جملتها مشوشة أو مشوهة أو مبالغ فيها أو مستندة على افتراءات لا دليل يسندها[3].

كما أن الاستشراق ارتبط بعد ذلك بالاستعمار، وأصبح واحدا من أهم وأخطر وسائله في تكريس هيمنة الغرب المسيحي على الشرق الإسلامي، لقد استفاد الاستعمار كثيرا من التراث الاستشراقي، كما أن الاستعمار عمل على تعزيز موقف الاستشراق. وقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهداف، ولتمكين سلطانه في البلدان المستعمرة ... ولقد عمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم وكقناصل، وتجسسوا على المسلمين"[4].

وهذا ما جعل بعض الباحثين يذهب إلى اعتبار حركة الاستشراق - في جانب منها على الأقل - تمثل أهدافا سياسية تتعلق بالمصالح الاستعمارية لأوربا، وتهدف إلى تعريف الدوائر الاستعمارية بتاريخ وحضارة المنطقة، عارضة الأمور التي بالإمكان استغلالها لتثبيت النفوذ وتطبيق مبدأ (فرق تسد)[5].

وقد اشمأز أحد المستشرقين الألمان المعاصرين من هذا الوضع، فقال متأسفا: "توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين. وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة"[6].

أما على صعيد موضوعات البحث الاستشراقي، فمن المعروف أن "أي مستشرق - مهما حاول أن يكون عالما - لا يستطيع أن يتناول أحد موضوعاته بدون أن يضع في اعتباره الحدود الفكرية والعملية المفروضة عليه، فليس في الاستشراق موضوعات حرة من حيث الفكر والعمل"[7].

ولأن المستشرقين لم يدرسوا الإسلام والتراث الإسلامي بغرض التعرف عليه وإقامة جسور التواصل والاستيعاب معه، وإنما بغرض تشويهه والحط من قيمته وتشكيك أبناء المسلمين فيه، فقد حرصوا على أن تنصب دراساتهم حول الجوانب التي من شأنها أن تساهم في تحقيق هذا الهدف.

وهكذا تناولوا بالدراسة والنشر جانبا من الفكر الإسلامي لا يعبر في حقيقته عن روح الإسلام الصافية، وإنما يمثل الجانب التأثري الذي ظهر في الفكر الإسلامي نتيجة الاتصال بالفكر اليوناني القديم بفعل الترجمة التي راجت سوقها في العصر العباسي، في حين غضوا الطرف عن الفكر الإسلامي الصحيح الذي يمثل الجانب الأعظم، وتجاهلوه وطمسوا عليه.

وفي هذا يقول الأستاذ أنور الجندي:

"من الحق أن يقال إن الاستشراق قد اهتم بالتراث الإسلامي العربي. ولكن اهتمامه الأكبر كان منصبا على تراث من نوع معين، فاهتمامه بتراث الحلاج، والسهروردي، وابن عربي، وأبي نواس، وبشار، وابن الراوندي، والرافي، وغيرهم، إنه يكشف عن خطة الغزو الثقافي في الاهتمام بالجوانب المضطربة والمثيرة للشبهات لإعلانها وإبرازها والاهتمام بها، رغبة في دفع أفكارها المنحرفة - التي طمست، والتي كشف زيفها أعلام الفكر الإسلامي - إلى

الظهور مرة أخرى ... وبينما يهتمون بهذه الجوانب يحملون حملات عنيفة على الغزالي، والمتنبي، وابن خلدون"[8].

أما الدراسات المبتكرة التي كتبها المستشرقــون عن الإسلام وتاريخه وحضارته، ونشروها في شكل مؤلفات أو دراسات في مجلات أكاديمية أنشأوها لهذا الغرض، فهي كلها تنصب حول جوانب معينة في الإسلام والفكر الإسلامي، هي بمثابة المنافذ التي يدخلون منها إلى تشويه صورة الإسلام، وتوظيف الفكر الإسلامي في تدمير كيانه وأبعاد المعتنقين له عنه.. والمستشرقون في ذلك، أو أغلبهم على الأقل، لا يتورعون عن توظيف أي وسيلة مهما كانت شناعتها من الناحية العلمية، ما دامت تحقق الغرض المطلوب، وهو إلحاق التشويه والتحريف بالإسلام وتاريخه وحضارته.

4 – أسباب انحراف المستشرقين عن المنهج العلمي:

قد يتساءل البعض عن سبب هذا البعد عن مقومات المنهج العلمي في كتابات وأبحاث المستشرقين الخاصة بالإسلام والمسلمين، والجواب واضح لا غبار عليه، ويتمثل في أن "الإستشراق – في دراسته للإسلام – ليس علما بأي مقياس علمي، وإنما هو عبارة عن أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات"[9].

ثم إن "المستشرق ابن بيئته، وهو للأبد أن يتأثر بكل ما كتب عن الإسلام والمسلمين وما قرأه في مجتمعه من صور باطلة وافتراءات مزيفة.. ذلك أن المستشرق –وبسبب من ثقافته وبَيئته المتشبعة بروح العداء للإســلام وتــاريخه– مهما حاول أن يكون متجردا فلابد أن ينحرف أو يشتطّ شعوريا أو لا شعوريا، فيجتر بعض مظاهر الصورة المشوّهة للإسلام من تراثه الأوربي المتراكم عبر القرون"[10].

وفي هذا السياق يأتي اعتراف المستشرق (غوستاف لوبون)، حين يقول:

"إننا لسنا مفكرين أحرارا في بعض الموضوعات، والمرء عندنا ذا شخصيتين: الشخصية العصرية التي كونتها الدراسات الخاصة والبيئة الخلقية والثقافية والشخصية اللاشعورية التي استقرت وتبلورت بفعل الماضي الطويل وتأثير الأجداد والسلف .. وهكذا فإن أوهامنا الموروثة والمستقرة في اللاوعي عن الإسلام والمسلمين قد تراكمت عبر قرون كثيرة وصارت جزءا من مزاجنا وطبيعة متأصلة فينا"[11].

كل ذلك، إضافة إلى أن المقاييس التي يستعملها المستشرقون في دراسة الإسلام والمسلمين، هي مقاييس مختلفة لقاما عن تلك المقاييس التي نفهم بها نحن المسلمين ديننا وتاريخنا وحضارتنا. إذ "يعمد المستشرقون إلى تطبيق المقاييس المسيحية على الدين الإسلامي وعلى نبيه"، يخلطون "بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة في القران الكريم والسنة الصحيحة، وبين الوضع المتردي للعالم الإسلامي في عالم اليوم"[12].

ويعترف المستشرق الإنجليزي السير هاملتون جب بهذه الحقيقة حين يقول: "إن العقل الغربي الحديث يعسر عليه - بوجه خاص - أن يقوم بمحاولة استكناه طبيعة المواقف الدينية لدى أناس تختلف نظرهم إلى الكون اختلافا بعيدا عن نظرة الغربي .. ولذا أصبحت أحكامنا الدينية - نحن الغربيين - شديدة الاختلال"[13].

وهكذا، فإنه ليس بإمكان مستشرق على الإطلاق، مهما كان من اتساع ثقافته ورجاحة عقله، وحياديته، ونزوعه الموضوعي، إلا أن يطرح تحليلا للإسلام، أو لتاريخه، أو لأي موضوع من موضوعاته، يخالف في قليل أو كثير الحقائق الأساسية، ويمارس - متعمدا أو غير متعمد - تزييفا لروح الموضوع وتمزيقا لنسيجه العام وتناقضا مع حقيقته الواقعة.[14]

5 - قواعد المنهج الاستشراقي ومناقضتها لقواعد المنهج العلمي:

إن المنهج الاستشراقي، ونظرا لكونه أداة مسخرة لخدمة أهداف محددة سلفا، ومرتبطة بالصراع الإسلامي الصليبي، فقد استخدم كل الوسائل التي من شأنها أن تحقق هدفه في تشويه صورة الإسلام وتاريخه وحضارته.

وقد كان "من دأب كثير من المستشرقين أنهم يعيثون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات - من كل رطب ويابس - ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جراءة، ويبثون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم"[15].

وغالبا ما جاءت أعمال المستشرقين نتيجة هذه الطريقة في التعامل مع الموضوعات الإسلامية ناضحة بالحقد والطعن والتجريح في الإسلام وتاريخه، مع أن "البحث العلمي النزيه لا صلة له إطلاقا بالرغبة في الطعن والتجريح، والبحث عن نقاط الضعف والتشويه، وتَسَقُّط الأخطاء. والأسلوب العلمي يحتم ضرورة الاستيثاق من صحة النصوص والأسانيد التي نستنبط

منها ما نستنبط من نظريات، ولكن الرغبة في التجريح والتشويه كثيرا ما حملت المستشرقين على التماس أسانيد واهية مرفوضة يق يدون بها ما يقررونه من نظريات"[16].

لذلك وجدنا المستشرقين يعتمدون في جل بحوثهم ودراساتهم جملة من القواعد التي لا تخرج عن هذا الإطار، ومنها:

أ – الإسقاط: "فهم يسقطون ما بأنفسهم (أو ما تراكم من خبراتهم) على الأحداث التاريخية، فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم"[17].

فإذا كانت طفولة المسيح عليه السلام غير معروفة وحياته غامضة في الثمانية عشر سنة الأولى منها، فإن المستشرقين يأبون إلا إسقاط هذا الغموض على حياة النبي صلى الله عليه وسلم أيضا، معتبرين كذلك أن طفولته كانت غامضة، وذلك ما يقرره كارل بروكلمان حين يقول: "لسنا نملك بينة موثوقا بها عن حياة النبي الأولى"[18]. وبروكلمان في هذا يناقض الحقيقة التاريخية التي تؤكد أن كل التفاصيل المتعلقة بحياة محمد صلى الله عليه وسلم منذ ولادته وحتى وفاته معروفة ولم يفت منها إلا القليل[19].

ب – العكس: "حيث يأتي المستشرق بأوثق الأخبار وأصدق الأنباء، فيقلبها متعمدا إلى عكسها"[20].

ج – الأثر والتأثر: "حيث تم تفريغ الإسلام من ذاتيته، وذلك بإحالتها إلى مصادر خارجية هي النصرانية واليهودية والبابلية والمجوسية"[21].

فالإسلام – عند أكثر المستشرقين – هو مذهب فكري مبتدع اقتبسه محمد من اليهودية والنصرانية. وهذا ما يقرره (جولد تسيهر) حين يقول في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام): "تبشير النبي العربي، ليس إلا مزيجا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، والتي تأثر بها تأثرا عميقا، ورآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه"[22].

وهي الفرية ذاتها التي يرددها مستشرقون آخرون، من أمثال: فيليب حتي[23]، وكارل بروكلمان[24]، وغوستاف لوبون[25]، وغيرهم.

د – النفي والتشكيك والاستعانة بالضعيف الشاذ: "لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ والغريب

فقدموه على المعروف المشهور، استعانوا بالشاذ ولو كان متأخرا أو كان من النوع الذي استغربه النقد وأشاروا إلى نشوزه، تعمدوا ذلك لأن هدا الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك "[26].

هـ - البناء والهدم: "حيث الإطراء والمديح ثم الهدم" فهم "في أغلب الأحيان يذكرون عيبا واحدا ويجودون لتمكينه في النفوس بذكر عشرة محاسن ليست لها أهمية كبيرة، وذلك لكي يقف القارئ خاشعا مؤدبا أمام سعة قلوبهم وسماحتهم ويسيغ ذلك العيب الواحد الذي يكفي لطمس جميع المحاسن"[27].

و - المنهج العلماني: فهم "يصورون بيئة دعوة أو شخصية وتاريخهما وعواملهما الطبيعية بلباقة وبلاغة تصوران أن هده الدعوة والشخصية لم تكونا إلا نتاج هذه البيئة أو العوامل ورد فعلها الطبيعي، وكان البركان كان متهيئا للانفجار، فتناولته هذه الشخصية بشرارة فانفجر، فينكر القارئ أي اتصال بمصدر غير عادي، ولا يعترف لهذه الشخصية أو الدعوة بعظمة أو تأييد إلهي أو إرادة غيبية"[28].

من ذلك مثلا المنهج الذي طبقه (مونتنقمري واط) في دراسة السيرة النبرية الشريفة، فعند تناوله وقائع السيرة في الفترة ما بين ميلاده عليه الصلاة والسلام وزواجه من خديجة رضي الله عنها، مثل حادثة شق الصدر، وقصة بحيرا الراهب، علق قائلا: "إن هناك العديد من القصص ذات الطابع الديني، يكاد يكون من المتيقن بأنها ليست حقيقية من وجهة نظر المؤرخ العلماني الواقعية"[29].

وحينما تحدث عن نبوته عليه الصلاة والسلام عزاها إلى ما أسماه "التخيل الخلاق"، أي أن النبوة لم تكن اصطفاء من الله عز وجل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأداء رسالته، بل هي من إبداع عقلية النبي صلى الله عليه وسلم. ولكي تكتمل هذه الرؤية فإن (واط يستبعد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل، على أساس أنها لا يمكن أن تكون تاريخية. بتشكك واط في أمر الوحي، "فالقول بأن محمدا كان صادقا لا يعني أن القرآن وحي حق، وأنه من صنع الله، إذ يمكن أن نعتقد بدون تناقض أن محمدا كان مقتنعا بأن الوحي يترل عليه من الله وأن نؤمن في نفس الوقت بأنه كان مخطئا". ويرى بأن مصدر الوحي المحمدي ص "اللاوعي الجماعي" الذي هو مصدر كل وحي ديني سواء كان الإسلام أو النصرانية أو اليهودية[30].

ز - النهج المادي: "الذي يجعل للعامل الاقتصادي أهمية قصوى في تفسير الواقعة التاريخية"[31]. من ذلك اعتبار بروكلمان لهذا العامل في تفسير الغزوات الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك إذ يقول: "لم يجرؤ - أي النبي محمد - على إعلان شرعية الحرب ضد المشركين وتوزيع الغنائم في الشهر الحرام إلا في آيات متأخرة، بعد أن كانت الغنائم العظيمة قد أثارت مطامعه إثارة كافية"[32]، أي أن العامل الاقتصادي كان هو المحرك في نفس الوقت لغزوات النبي صلى الله عليه وسلم ويتحدث بروكلمان عن ميل النبي للاستفادة الشخصية من الغزوات، فيذكر أنه بعد فشله في الحديبية قاد المسلمين في حملة على المستعمرة الغنية (خيبر)، وأنه ضم (فدك) إلى ملكه الخاص. وما إلى ذلك من ترهات وأكاذيب[33].

إن هذه القواعد التي اعتمدها المستشرقون في كتاباتهم المتعلقة بالإسلام وتاريخه وحضارته كلها ليست من العلم ولا من المنهج العلمي في شيء، وإنما هي انحرافات عن المنهج العلمي السليم. والانحراف بهذا الشكل وبأشكال أخرى مختلفة هو - للأسف - طابع معظم الدراسات الاستشراقية حول الإسلام[34].

6 - نماذج من تطبيقات المنهج الاستشراقي في دراسة الإسلام وتاريخه وحضارته:

وهكذا يتبين أن مزاعم المستشرقين بالتزام قواعد المنهج العلمي ليست إلا دعاوى زائفة وخادعة كما قلنا وبكذبها واقع دراساتهم وأبحاثهم المنشورة والمنتشرة على نطاق واسع. تلك البحوث والدراسات التي تنضح بالكذب والافتراء، وتكشف عن حقد وتعصب دفينين تجاه كل ما له صلة باللغة العربية والإسلام والتاريخ الإسلامي والعلوم الإسلامية. فهم إذا ما تناولوا القران الكريم بالدراسة مثلا، كان حرصهم واضحا على إثبات بشريته وافترائه من قبل النبي محمد عليه الصلاة والسلام، واستمداده له من الكتب السماوية السابقة عليه، وانطوائه على التناقض[35].

وإذا ما درسوا السنة النبوية، عملوا على قطع الصلة بينها وبين النبي عليه الصلاة والسلام، والتأكيد على أن أحاديث هذه السنة ونصوصها ما هي إلا موضوعات ظهرت في مرحلة متأخرة عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم.[36]

وإذا ما كتبوا عن السيرة النبوية، جهدوا أن يزعموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام تلقى تعاليم الإسلام من بحيرا الراهب. وأن هذا الرسول عليه الصلاة والسلام ما هو إلا رجل ميال إلى إشباع غريزته الجنسية. ثم إنهم عملوا على إنكار الوحي واعتبار ما كان يعتري الرسول صلى الله عليه وسلم منه تهيؤات نفسية وأمراض عقلية ليس إلا[37].

وإذا ما عرضوا إلى الإسلام في أحكامه وجزئياته لم يعرضوا منه إلا ما يشفي غليلهم في وصفه بأنه دين القتل وسفك الدماء والجلد وقطع الأيدي ورجم الرجال والنساء وجباية الأموال والاستبداد بالسلطة والملك. وأنه دين يحارب العلم والفلسفة، يضطهد المرأة، ويشجع على اتخاذ الرقيق واستعباد الإنسان، ويعمل على ظهور نظام الطبقات في المجتمع، وأن محمدا وأتباعه اضطهدوا الأقليات غير المسلمة في الدولة الإسلامية.. الخ[38].

وإذا ما جاؤوا إلى دراسة الشريعة الإسلامية كنظام حاكم، وصفوها بأنها مقتبسة من القانون الروماني، وأن أحكامها المتعلقة بالأسرة والميراث إنما هي أحكام مستمدة من النظام القبلي، وأن العقوبات في الإسلام كانت تحت السلطان القبلي، وأن المسلمين لم يكونوا يعرفوا نظام الجباية وإنما استمدوه من النظامين الفارسي والروماني... الخ[39].

وإذا ما تناولوا مسالة من مسائل التاريخ الإسلامي، أو واقعة من وقائعه أو من فترة من فتراته، بالغوا في التنقيب عن الروايات الضعيفة والموضوعة وتقديمها باعتبارها أحداثا وقعت فعلا، مع التجاهل المتعمد والتعتيم المقصود على الروايات الصحيحة التي تتحدث عن الوقائع الفعلية. وغالبا ما ينطلقون من نتائج يفترضونها ويعملون على إثباتها بتوظيف المنهج الانتقائي القائم على ترصد الروايات الضعيفة الواهية وتجاهل الروايات الصحيحة الموثوقة التي لا تتوافق مع أهدافهم وفرضياتهم .. وهكذا فإن فتوح الإسلام كان الهدف الأساس منها هو الغنيمة المادية وليس نشر الدين في بعده الروحي، وهو ما يفسر - في نظرهم - نشر الإسلام بالسيف والقهر بدلا من الإقناع وحرية الفكر[40].

وكما شوه المستشرقون التاريخ الإسلامي، فقد وجهوا كذلك كثيرا من الاتهامات والشكوك إلى الحضارة الإسلامية وأثاروا حولها العديد من الشبهات، فهم أولا لا يطلقون عليها اسم الحضارة الإسلامية، بل ينسبونها إلى العرب حتى يثيروا الخلافات ويوقعوا بين المسلمين والعرب. ومن المستشرقين من يعتبرون الحضارة الإسلامية حضارة سطحية ظاهرية أنتجتها عقول آرية ومنابع يونانية، فارسية، هندية، غوطية، وحيثما وجد الإنسان ظاهرة من

ظواهر الحضارة في البلاد العربية فلابد من إرجاعها إلى عقلية آرية و"نتاج غير سامي .. ومعروفة طروحات كل من شاخت ورينان وماسينيون وتحيرهم في هذا المجال، تلك التي تنضح بالتشويه والافتراء وإنكار أي فضل للإسلام في إشعال فتيل الحضارة الإنسانية وبثائها مدة عشرة قرون كاملة أو تزيدا[41].

الخلاصة:

وهكذا فإن المستشرقين في كل ما يكتبونه يدوسون على قواعد المنهج العلمي التي يدّعون الالتزام بها ويضربون عرض الحائط بكل المبادئ والأعراف العلمية التي يتظاهرون بالحرص على التطابق معها.

وهذا ما يجعل بحوثهم تذهب بعيدا لتنحرف عن إصابة النتائج العلمية الصحيحة، وتصب في خدمة أهداف تبشيرية واستعمارية حاقدة ومتعصبة يكرس المستشرقون أعمالهم – عادة – لتحقيقها.

أخيرا قد يعترض معترض فيقول: إن هذا التحليل والوصف إنما ينطبق فقط على فئة من المستشرقين المتعصبين دون غيرهم من المستشرقين الذين تميزوا بالإنصاف والموضوعية وخدموا الإسلام والعلوم الإسلامية بما نشروه من بحوث ودراسات استفاد منها المسلمون أنفسهم.

والجواب: أن أهداف المستشرقين واحدة وإن تغيرت استراتيجياتهم تبعا لتغير الزمان وتطور أساليب الصراع، فإذا كان المستشرقن الأوائل يعتمدون أسلوب التجريح والتهم المباشر فإن المستشرقين المتأخرين صاروا يعتمدون التفسير العقلاني التأويلي الحداثي و"يدسون في كتاباتهم مقدارا خاصا من،"السم" ويحترسون في ذلك، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم، حتى لا يستوحش القارئ ولا يثير ذلك فيه الحذر، ولا تضعف ثقته بنزاهة المؤلف. إن كتابات هؤلاء أشد خطرا على القارئ من كتابات المؤلفين الذين يكاشفون العداء يشحنون كتبهم بالكذب والافتراء، ويصعب على رجل متوسط في عقليته أن يخرج منها أو ينتهي في قراءتها دون الخضوع لها"[42].

ولا شك أن هذا هو سر هذا الارتهان الثقافي الذي صرنا نعانيه من فئة كبيرة من مثقفي أمتنا الذين يدعون الانتماء إلى الإسلام وإلى صف المسلمين، ومع ذلك يحملون في

أذهانهم أفكارا تتناقض كلية مع هذا الادعاء استمدوها من قراءة تلك الكتابات واستفادوها من أولئك المستشرقين .

هذا، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

الهوامش:

---

[1] - رودي بارت: الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية. ترجمة. د؛ مصطفى ماهر. القاهرة، 1967م، ص:10.

[2] - د/ أحمد عبد الحميد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق. مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام - الرياض. ط: 1، 1408هـ، 1988م، ص: 23 - 24.

[3] - د/ فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي .. القرون الإسلامية الأولى. الأهلية للنشر والتوزيع. ط : 1، 1988، ص: 34.

[4] - عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي - فرجينيا، ط: 1، 1417 هـ - 1997م، ص: 21 - 22.

[5] - عرفان عبد الحميد: محاضرات في مناهج المستشرقين. غير منشورة، كلية الشريعة - بغداد، 1988.. نقلا عن: فاروق عمر: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص: 34.

[6] - نقله الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه: الإسلام في الفكر الغربي. دار القلم - الكويت، ص: 60.

[7] - د/ عبد الحليم عويس: العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكر. نشر مكتبة الفلاح - الكويت، ط: 1، 1401هـ، 1981م، ص: 19.

[8] - نقلا عن كتاب الدكتور أحمد إسمائيلوفيتش: فلسفة الاستشراق. دار المعارف - القاهرة، ص: 169.

[9] - د. محمود زقزوق: في مواجهة الاستشراق. مجلة المسلم المعاصر. السنة السابعة عشرة، العددان 65 - 66، محرم - جمادى الآخرة 1413 هـ، أغسطس 92 - يناير 1993م، ص: 33.

[10] - د/فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، م. س، ص: 29.

[11] - حضارة العرب. الترجمة العربية، 1956. نقلا عن: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، لفاروق عمر فوزي، ص: 64.

[12] - د/ محمود زقزوق: في مواجهة الاستشراق. مجلة المسلم المعاصر، م. س، ص: 33.

[13] - هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ت: د. إحسان عباس ورفاقه. دار العلم للملايين - بيروت، 1964 هـ، ص: 235 - 236.

[14] - د/عماد الدين خليل: الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي (قراءات). مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1، 1418 هـ، 1997م، ص: 9.

[15] - أبو الحسن الندوي: الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين، في كتاب. الإسلام والمستشرقون، تأليف نخبة من العلماء المسلمين. نشر: دار الشروق - جدة، ط: 1، 1405هـ-1985م، ص : 19.

[16] - د/محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. سلسلة كتاب الأمة - قطر، رقم: 5، صفر 1404 هـ، ص: 78.

[17] - د/ عبد العظيم الديب: المستشرقون والتاريخ، ضمن كتاب: الإسلام والمستشرقون. م. س، ص: 279.

[18] - تاريخ الشعوب الإسلامية، ص: 33.

[19] – د/ شوقي أبو خليل: أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – ليبيا، 1991م، ص: 51.

[20] – د/ عبد الحليم محمود: أوربا والإسلام، ص: 96.

[21] – عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، م. س، ص: 34.

[22] – نقله الدكتور شوقي أبو خليل في كتابه: أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، ص: 17.

[23] – انظر كتابه: تاريخ العرب المطول، ص: 181.

[24] – انظر كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص:70.

[25]– انظر كتابه: حضارة العرب، ص: 158.

[26]– د/جواد علي : تاريخ العرب في الإسلام. دار الطليعة – بيروت، ج: 1، ص: 4. أبو الحسن علي الحسني الندوي: الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين ضمن كتاب: الإسلام والمستشرقين، ص: 19.

[27] – أبو الحسن علي الحسني الندوي: الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين ضمن كتاب: الإسلام والمستشرقين، ص: 19.

[28] – أبو ا لحسن الندوي، م. س، ن، ص: 18 – 19.

[29] – محمد في مكة، ص: 33.

[30] – انظر التفاصيل في: عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، ص: 39– 40.

[31] – عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، م. س، ص: 34.

[32] – تاريخ الشعوب الإسلامية، ص: 23.

[33] – انظر: عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، م. س، ص: 50

[34] – د/ محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، م. س، ص: 78.

[35] – انظر في هذا الموضوع:

- المستشرقون والدراسات القرآنية، للدكتور محمد حسين علي الصغير.
- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم. للدكتور محمد صالح البنداق.

[36]– راجع في هذا الموضوع كتاب: "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله. ففيه تفصيل واف لشبهات المستشرقين على السنة، وردود كاملة حول تلك الشبهات.

[37] – انظر التفاصيل في:

- أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، للدكتور شوقي أبو خليل، م. س.
- الاستشراق في السيرة النبوية. لعبد الله محمد الأمين النعيم، م. س.
- بحث: المستشرقون والسيرة النبوية، للدكتور عماد الدين خليل. في كتاب: الإسلام والمستشرقون، تأليف نخبة من العلماء المسلمين، م. س، ص – ص: 243 – 274

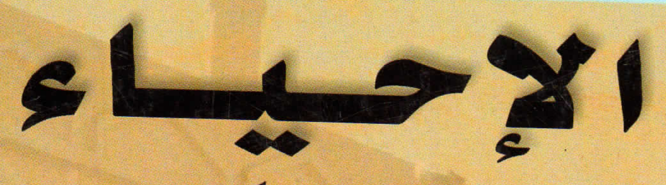
[38] – انظر كتاب: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، للشيخ محمد الغزالي رحمه الله. نشر: دار نهضة مصر– القاهرة.

[39] – انظر بحث الأستاذ أنور الجندي: المستشرقون والإسلام. ضمن كتاب: الإسلام والمستشرقون، تأليف: نخبة من العلماء المسلمين، م. س، ص – ص: 191 – 198.

[40]– انظر كتاب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، للدكتور عبد العظيم محمود الديب. ضمن سلسلة كتاب الأمة – قطر، رقم:
وكذلك كتاب: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، للدكتور فاروق عمر فوزي، م. س.

[41] – أنظر بحث الأستاذ أنور الجندي: المستشرقون والتاريخ. ضمن كتاب. الإسلام والمستشرقون، م. س، ص – ص: 275 –288.

[42] – أبو الحسن علي الحسني الندوي: الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين. ضمن كتاب. الإسلام والمستشرقون. م. س، ص: 20.



مجلة علمية محكمة

تصدرها كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

جامعة الحاج لخضر باتنة - الجزائر

العدد الحادي عشر

1428 هـ ـ 2007 م



ردمك: ISBN: 1112 – 4350



مجلة علمية محكمة

تصدرها كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

جامعة الحاج لخضر. باتنة (الجزائر)

العدد الحادي العاشر

1428هـ -2007م

عنوان المراسلات

السيد رئيس تحرير مجلة "الإحياء"

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

جامعة الحاج لخضر ـ باتنة. الجزائر

الهاتف :

033 86 28 31 أو 033 86 34 36

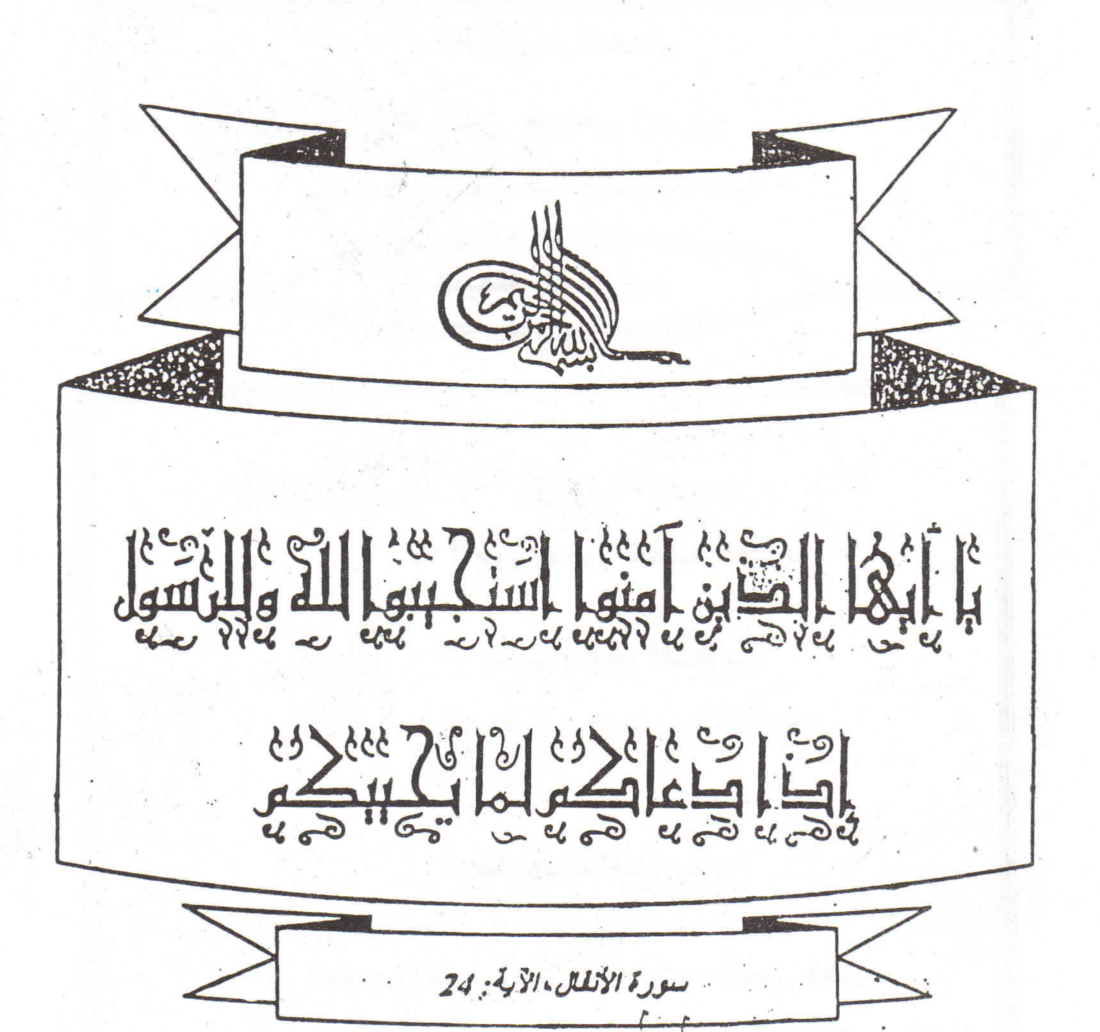
الفاكس : 033 86 06 64

البريد الإلكتروني: Elihyaa@univ-batna.dz

ISSN 1112 - 4350 :ر د مد

قواعد وشروط النشر في مجلة "الإحياء"

- تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأكاديمية المحققة لشروط وقواعد البحث العلمي المتعارفة.
- يشترط في البحث المقدم للنشر، ألا يكون سبق نشره، وأن يتناول قضية من القضايا التي تدخل ضمن اهتمامات الكلية وتخصصها العلمي.
- ينبغي ألا يزيد البحث على خمس وعشرين صفحة وألا يقل عن عشر صفحات.
- بأي حال من الأحوال، لا تستقبل هيئة التحرير أي بحث غير مكتوب على جهاز الإعلام الآلي مرفوقا بقرص ممغنط يتضمن نسخة البحث مكتوبة وفق برنامج (WORD)، بخط (ARABIC TRANSPARENT).
- على أن تدون الهوامش في آخر المقال.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- تعرض الأبحاث المقدمة للنشر على أساتذة محكمين، من أعضاء الهيئة الاستشارية أو غير أعضائها.
- يراعى في أولوية النشر الأبحاث المقدمة من أعضاء هيئة التدريس بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، إذا كانت مستوفية لشروط النشر، كما يراعى تاريخ تقديم البحث إلى المجلة.
- ما ينشر في المجلة يلزم كاتبه، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الكلية أو توجه فكري تتبناه هيئة التحرير.
- لا تدفع الكلية أو هيئة التحرير أي مكافآت للباحثين مقابل ما ينشر لهم من أبحاث في المجلة.
- يستفيد صاحب كل بحث منشور من نسختين من العدد الذي نشر فيه بحثه.
- ترتب الأبحاث في كل عدد، وفق اعتبارات فنية، لا علاقة لها باسم الباحث أو مكانته العلمية .
- تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي تتناسب مع أسلوب النشر.


بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحييكم
سورة الأنفال، الآية: 24

فهرس العدد العاشر

فهرس الموضوعات